

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن وجب وجود ذاته، و قدم جميع نعوته و صفاته، و احدث الكون بانواع خلقه و آياته و ابدع وقائع الدهور فى صفحات ارضه و بساطه و جعل فيها لمن يتبصر عبره و عظاته و منّ علينا بارسال خير ورائه و افضل دعائه، محمد شفيع مذببه و عصاته عليه و على آله و جميع اصحابه و قاطبة اتباعه محيى سننه و عاداته، اتمّ تحيات الله و سلامه و اكمل صلاته.

اما بعد: فلما قسمت اللجنة المسماة بحركة ترويج علوم دينى كتب دراسات الفنون العلمية التى تقرأ فى المدارس الشرعية على اربعة اقسام. و سمو القسمه الاولى الدورة الابتدائية و القسمه الثانية الدورة المتوسطة و القسمه الثالثة الدورة النهائية و القسمه الرابعة الدورة الخارجية. و وضعوا الفن التاريخ فى هذا القسم الرابع، لرغب ميل بعض الاحباب عن تسويفه و تمنوا من تقريبه لان اكثرهم قطعوا تحصيلاتهم قبل الدورة الخارجية فكانوا غافلين عنه بلا حظ و نصيب؛ فلهذا التمس منى بعض الاحباب ان اكتب فى هذا الباب ما يكفى حالهم و يؤدى مرامهم، فجمعت اسفار المورخين كابن هشام و الطبرى و الحلبي و ابن الاثير و السيوطى و النبهانى و غيرهم رحمة الله عليهم. و اقتبست من عباراتهم و الفت منها كتابا سميته بالمزاده فى سير القاده جعلته تحفة لطلاب الحركة كى اصل من فضيلتهم البركة نسئل الكريم ان يعم نفعه العميم لكل من كان على السبيل القويم آمين يا هادى الصراط المستقيم.

نسب النبى صلى الله عليه و سلم

هو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدرك بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، هذا هو النسب المجمع عليه فى نسبه صلى الله عليه و سلم عند العلماء بالانساب.

عدنان بن اذ و يقال ادد بن مقوم ابن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارح و هو آزر بن ناحور بن ساروغ ابن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ و هو ادريس ابن يرد بن مهليل ابن قين بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه و سلم.

و فى بعض الطرق ابراهيم بن آذر بن ناخور بن شاروخ او ابن اسرع بن ارغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لمك (لامك) بن متوشلخ بن اخنوخ بن يرد (بيارد) بن مهلائيل بن قاين (قينان) بن انوش بن شيث بن آدم صلى الله عليه و سلم.

جده صلى الله عليه و سلم

هو عبد المطلب اسمه شيبه سمى بذلك لانه كان فى رأسه لماً ولد شيبه (كان وسط رأسه ابيض) او سمى تقاؤلا بانه سيبلغ سن الشيب.

و كان مولده في المدينة في سنة خمسمائة الميلادية (٥٠٠) و منشأه بمكة. و قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به صغيرا من المدينة اردفه خلفه و كان بهيئة رثة (ثياب خلقة) فصار كل من يسأل عنه و يقول من هذا؟ يقول عبدى حياء ان يقول ابن اخى. فلما دخل مكة احسن من حاله و اظهر انه ابن اخيه و صار يقول لمن يقول له عدل المطلب و يحكم انما هو شبيبة ابن اخى هاشم لكن غلب عليه الوصف المذكور فقليل له عبد المطلب، او سمى بعبد المطلب لانه تربى في حجر عمه المطلب و كان عادة العرب ان تقول لليتيم الذى يتربى في حجر احد هو عبده، و يكنى ابا الحارث، و امه سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجية النجارية.

و كان عبد المطلب مفزع قريش فى النوائب (الحوادث خيرا كان او شرا) و ملجأهم فى الامور فكان شريف قريش و سيدها كمالا و فعالا من غير مدافع، و يدعى شبيبة الحمد لكثرة حمد الناس.

و كان مجاب الدعوة و يقال له الفياض لجوده و مطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير و الوحوش فى رؤس الجبال و كان من حلماء قريش و حكمائها. و يأمر اولاده بترك الظلم و البغى و يحثهم على مكارم الاخلاق و ينهاهم عن دنيئات الامور و كان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية.

و كان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه و تصيبه عقوبة الى ان هلك. رجل ظلوم من اهل الشام لم تصبه عقوبة فليل لعبد المطلب فى ذلك ففكر و قال و الله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه و يعاقب المسئ

باسائته (الظلم شأنه فى الدنيا ان يصيب عقوبته حتى اذا خرج من الدنيا و لم تصبه العقوبة فهى معدة له فى الآخرة) و رفض فى آخر عمره عبادة الاصنام و وحّد الله سبحانه و تعالى و توثّر عنه سنن جاء القرآن باكثرها و جاءت السنة بها. منها الوفاء بالنذر و المنع من نكاح المحارم و قطع يد السارق و النهى عن قتل الموؤدة (الجارية التى تدفن حية خوف العار و الفقر) و تحريم الخمر و الزنا و ان لا يطوف بالبيت عريان.

عدد ابنائه اثنا عشر: عبد الكعبة، ضرار، فثم، الزبير، المقوم، الحارث، عبد الله، ابولهب، الفيداق، حمزة، العباس، ابوطالب.

كان عمر عبد المطلب حين توفّى مائة و اربعين سنة، و قيل مائة و عشرة و قيل اقل. و دفن بالحجون (جبل باعلى مكة عنده مدافن اهلها) عند قبر جده قصى.

والداه صلى الله عليه و سلم

ابوه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى. ابو القثم الهاشمى القرشى الملقب بالذبيح، ولد بمكة فى خمسمائة و اربع و اربعين من السنة الميلادية.

و هو اصغر اخوته، و كان عبد المطلب قد نذر لان ولد له عشرة ابناء و شبوا فى حياته لينحرنّ احدهم عند الكعبة فشب له عشرة فذهب بهم الى هبل (اكبر اصنام الكعبة فى الجاهلية) فضربت القداح بينهم فخرجت على عبد الله و كان احبهم اليه ففداه بمائة من الابل فكان يعرف بالذبيح، و كان احسن رجل فى قريش خلقا و خلقا

و كان نور النبى صلى الله عليه و سلم بيّنا فى وجهه و انه كان اكمل بنى ابيه و احسنهم و اعفهم و احبهم الى قريش، و رحل فى تجارة الى غزة (مدينة فى جنوبى فلسطين) و عاد يريد مكة فلما وصل الى المدينة مرض و مات بها فى خمسامة و احدى و سبعين سنة (٥٧١) من الميلادى.

و امه صلى الله عليه و سلم من اشرف بيوت قريش و هى السيدة آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهره بن كلاب و هو الجد الخامس له صلى الله عليه و سلم. و كانت افضل امرأة نسبا و مكانة (منزلة) امتازت بالذكاء و حسن البيان ربّاهها عمّها و هيب بن عبد مناف. و لم يكن لها اخت و لا اخ كما لم يكن لعبد الله و لا آمنة ولد غير رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و كانت السيدة آمنة و فية لزوجها عبد الله بعد وفاته فكانت تخرج فى كل عام الى المدينة تزور قبره. فلما اتى على رسول الله ست سنين خرجت زائرة لقبره و معها عبد المطلب و ام ايمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما صارت بالابواء (موضع معروف بين مكة و المدينة و هو الى المدينة اقرب) منصرفه الى مكة ماتت بها فى عام خمسامة و خمس و سبعين (٥٧٥) من الميلادى.

و والدا رسول الله صلى الله عليه و سلم ماتا على الفطرة (على ملة الاسلام) على ما اتفق عليه الاجلة من الامة كما بينه السيوطى فى رسائله و اما ما فى بعض نسخ الفقه الاكبر من ان والدا رسول الله صلى الله عليه و سلم ماتا على الكفر فمحرف و الاصل الصحيح ماتا على الفطرة.

و قال على القارى فى شرحه للشفاء و اما اسلام ابويه صلى الله عليه و سلم فففيه اقوال و الاصح اسلامهما على ما اتفق عليه الاجلة من الامة كما بينه السيوطى، و يعلم منها رجوعه عن عقيدته تكفير الوالدين تاب الله بغفرانه آمين.

قال النبهانى و ليس احبائهما و ايمانهما ممتنعا عقلا و لاشرعا فقد ورد فى الكتاب العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل و اخبر بقاتله و كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى و كذلك نبينا صلى الله عليه و سلم احبى الله على يديه جماعة من الموتى و اذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احبائهما و يكون ذلك زيادة فى كرامته و فضيلته صلى الله عليه و سلم.

و قال الامام فخر الدين الرازى ان جميع آباء محمد صلى الله عليه و سلم كانوا مسلمين، و مما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه و سلم لم ازل اقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات، و قد قال تعالى (انما المشركون نجس) فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا.

قال زين دحلان فاذا سئل العبد عن الابوين الشريفين فليقل هما ناجيان فى الجنة اما لانهما احببا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهلبى و القرطبى و ناصر الدين بن المنير و غيرهم من المحققين. و اما لانهما ماتا فى الفترة قبل البعثة و لاتعذيب قبلها كما جزم به الابى فى شرح مسلم. و اما لانهما كانا على الحنيفية و التوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسى و التلمسانى محشى الشفاء.

فهذه خلاصة اقوال المحققين و لاتلتفت الى قول من خالف شيئاً من ذلك و قد نقل العلامة الطحاوى من علماء الحنفية المتأخرين فى حواشيه على الدر المختار فى كتاب النكاح جملة من اقوال المحققين و ذكر ان المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد و لا عبرة بمخالفة من خالف فى ذلك.

مولده صلى الله عليه و سلم

لما حملت آمنة بسيد الكونين صلى الله عليه و سلم رأت كرامات لا تحصى، و ما شعرت بانها حاملة به و لا وجدت له ثقلاً و لا وحماً (شدة اشتهاى المرأة لبعض المآكل) كما تجد الحوامل.

ولدت صلى الله عليه و سلم بمكة فى دار ابيطالب (ثم صارت لمحمد بن يوسف اخى الحجاج و هو افضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام و اشتهر بمولد فاطمة) صباح يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول عام الفيل سنة خمساً و احدى و سبعين (٥٧١) ميلادية مختونا (على صورة المختون) مسرورا (مقطوع السرة) و مكحولا و نظيفا ما به قدر و بلل. وقع على الارض مقبوضة اصابع يده يشير بالسبابة كالمسيح بها. بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة (لونها احمر هى خاتم النبوة).

حصلت ليلة مولده عجائب كثيرة منها خمود نار فارس مع ايقاد خدامها و لم تخمد قبل ذلك بالف عام. و انهدام ايوان كسرى (انوشروان الذى كان يجلس مع ارباب مملكته) و غيض بحيرة طبرية (بحيرة فى فلسطين يجتازها نهر الاردن و على ساحلها مدينة تسمى طبرية) و تنكس الاصنام و عن عبد المطلب قال كنت فى

الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من اماكنها و خرت سجدا و سمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار و يظهر من عبادة الاصنام و يأمر بعبادة الملك العلام.

تسميته صلى الله عليه و سلم

ان آمنة لما ولدته صلى الله عليه و سلم ارسلت الى عبد المطلب و كان يطوف بالبيت فجاء اليها فقالت يا ابا الحرث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب (خاف و دهش) و قال اليس بشرا سويا؟ (تام الخلق) فقالت بلى و لكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه و اسبعيه الى السماء، و فى رواية انه تكلم حين خروجه من بطن امه فقال الله اكبر كبيرا و الحمد لله كثيرا و سبحان الله بكرة و اصيلا، فاخرجه له و نظر اليه فرأى فيه من سمات المجد و امارات السودة ثم قال انه لن يموت حتى يسود العرب و العجم، و اخذه و دخل به الكعبة و انشأ (وضع و ابتداء) يقول:

الحمد لله الذى اعطانى هذا الغلام الطيب الاردان

(جمع رذن و هو اصل الكم و المراد منه اصل البنية)

اعيده بالواحد المنان من كل ذى عيب و ذى شأن

(المبغض) حتى اراه شامخ البيان (مصدر بنى يبنى عكس هدم).

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم عق عنه جده (ذبح الشاة عن المولود عند حلق شعره) يوم سابع ولادته بكبش و سمّاه

محمدا فقيل له يا ابا الحرث ما حملك على ان تسميه محمدا و لم تسمّه باسم آبائه
قال اردت ان يحمده الله فى السماء و تحمده الناس فى الارض. و كانت آمنة تقول
اتانى آتٍ و انا بين النائمة و اليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم
امهلنى حتى اذا دنت و لادتى اتانى فقال قولى اعيزه بالواحد من شر كل حاسد، ثم
سميه محمدا.

و فى الحديث من ولد له مولود فسماه محمدا حباً لى و تبركا باسمى كان هو و
مولوده فى الجنة.

و فى حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل الجنة بغير
حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى الله عليه و
سلم لا يمنعون.

عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله مائة سنة فى بنى اسرائيل ثم مات
فاخذون و القوه فى مزبلة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان اخرجـه فصلّ
عليه قال يا رب ان بنى اسرائيل شهدوا انه عصاك مائة سنة فاوحى الله اليه هكذا الا
انه كان كلما نشر التوراة و نظر الى اسم محمد قبّله و وضعه على عينيه فشكرت له
ذلك و غفرت له و زوجته سبعين حورا.

الاحتفال بمولده صلى الله عليه و سلم

روى الامام البيهقى عليه الرحمة فى الدلائل انه لما ولد صلى الله عليه وسلم
عمل له مائدة و دعى الاشراف اليها فلما اكلوا سألوه ما سمّيته؟ قال محمدا قالو فلم

رغبت فيه عن اسماء اهل بيتك؟ رجاء ان يحمده الله تعالى فى السماء و اهل بيتى فى الارض و فى هذا الكفاية من الدلالة على جواز الاحتفال (الاجتماع) بمولده الشريف.

و قد رؤى ابولهب بعد موته فى النوم فليل له ما حالك؟ فقال فى النار الا انه خفف عنى فى كل ليلة اثنين و امصُّ من بين اصبعى هاتين ماء و اشار برأس اصبعيه و ان ذلك باعتاقى لثوية عند ما بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه و سلم و بارضاعها له.

قال ابن الجزرى فاذا كان هذا ابولهب الكافر الذى نزل القرآن بدمه جوزى بفرحه ليلة مولد النبى صلى الله عليه و سلم فما حال المسلم الموحد من امته صلى الله عليه و سلم يسرّ بمولده و يبذل ما تصل اليه قدرته فى محبته صلى الله عليه و سلم. لعمرى انما يكون جزاؤه من الله الكريم ان يدخله بفضل العميم جنات النعيم. و لا زال اهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة و السلام و يعملون الولائم و يتصدقون فى لياليه بانواع الصدقات و يظهرون السرور و يزيدون فى المبرات (العطيات) و يعينون بعراءة مولده الكريم و يظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

و مما جرب من خواصه انه امان فى ذلك العام و بشرى عاجلة بنيل البغية (ما يرغب فيه و يطلب) و المرام فرحم الله امرء اتخذ ليالى شهر مولده المباركة اعيادا، و ليلة مولده صلى الله عليه و سلم افضل من ليلة القدر. و قد استخرج له الحافظ ابن

حجر اصلا من السنة و كذا الحافظ السيوطى فارجع الى كتابه حسن المقصد فى عمل المولد.

القيام عند المولد

قال الحلبي جرت عادة كثير من الناس اذا سمعه بذكر وصفه صلى الله عليه و سلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه و سلم. و قال الصفورى القيام عند ولادته صلى الله عليه و سلم لا انكار فيه فانه من البدع المستحسنة و قد افتى جماعة باستحبابه عند ذكر ولادته و قال جماعة بوجوب الصلاة عليه عند ذكره و ذلك من الاكرام و التعظيم له صلى الله عليه و سلم و اكرامه و تعظيمه واجب على كل مؤمن و لاشك ان القيام له عند الولادة من باب التعظيم و الاكرام قال مؤلفه رحمه الله تعالى و الذى ارسله رحمة للعالمين لو استطعت القيام على رأسى لفعلت ابتغى بذلك الزلفى عند الله عز و جل.

و قد اجتمع عند تقى الدين السبكى رحمه الله جميع كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصرى رحمه الله فى مدحه عليه السلام:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط احسن من كتب

و ان تنهض الاشراف عند سماعه قياما صفوفا او جثيا على الركب

فعد ذلك قام الامام السبكى و جميع من بالمجلس فحصل انس عظيم بذلك

المجلس و يكفى ذلك فى الاقتداء.

رضاعه صلى الله عليه و سلم

اول من ارضع رسول الله صلى الله عليه و سلم ثوية بعد ارضاع امه له و هى
جارية عمّه ابى لهب و قد اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه و سلم.
كان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون
انجب للولد و افصح له فجاء نسوة من بنى سعد الى مكة يلتمسون الرضعاء (جمع
رضيع) و معهن حليلة السعدية فكل امرأة اخذت رضيعا الا حليلة، فما من امرأة الا
و قد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم من الاب
فلما اجمعن الانطلاق (عزمن عليه) قالت لزوجه و الله انى لاكره ان ارجع من بين
صواحبى و ليس معى رضيع لاذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذنه فقال لابأس عليك ان
تفعلى عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه. فاستقبلها عبد المطلب فقال من
انت؟ قالت امرأة من بنى سعد. فقال ما اسمك؟ فقالت حليلة. فتبسم عبد المطلب و
قال بخ بخ (بخ اسم فعل معناه عظم الامر و فخم يكون للرضى و الاعجاب بالشئ او
الفخر و المدح و يكرر للمبالغة) سعد و حلم خصلتان فيهما خير الدهر و عز الابد يا
حليلة ان عندى غلاما يتيما و قد عرضته على نساء بنى سعد فابين ان يقبلن و قلن
ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الاباء فهل لك ان ترضعيه فعسى ان
تسعدى به؟ فقالت الاتذرنى حتى اشاور صاحبى؟ قال بلى فانصرفت اليه فاخبرته
فكان الله قذف فى قلبه فرحا و سرورا فقال لها خذيه يا حليلة، فرجعت الى عبد
المطلب فوجده قاعدا ينتظرها فقالت هلم (اسم فعل معناه احضر يستوى فيها
التذكير و التأنيث و الواحد و الجمع) الصبى فاستهل وجهه (تلاأ و اشرق) فرحا

فاخذها و ادخلها بيت آمنة فقالت لها اهلا و سهلا فاذا هو مدرج فى ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك و تحته حريرة خضراء راقد عليها على قفاه يخط (يمد الصوت و النفس فى خياشيمه) فاشفقت حليلة ان اوقطه من نومه لحسنه و جماله فوضعت يدها على صدره فتبسم ضاحكا و فتح عينيه ينظر اليها فخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء و هى ناظرة فقبلته بين عينيه. ثم اعطته ثديها الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن ثم حوّلته الى الايسر فابى و كانت تلك حاله بعد (لايقبل بعد ذلك الا ثديا واحدا و هو الايمن) لعدله و انصافه لانه علم ان له فى اللبن شريكا. و فى رواية ان احد ثديي حليلة كان لايدر اللبن (لايسيل و لاكثر) فلما وضعت فى فم رسول الله صلى الله عليه و سلم درّ اللبن منه و شرب اخوه معه حتى روى ثم نام و ما كانت تنام معه قبل ذلك (لعدم نومه من الجوع). و قام زوجها الى شارفه (الناقة المسنة) فاذا هى لحاقل (ممتلئة الضرع من اللبن) فحلب منها ما شرب و شربت حتى انتهيا ربا و شبعا فباتا بخير ليلة و قال زوجها حين اصبح يا حليلة و الله انى لاراك قد اخذت نسمة مباركة فقالت انى لارجو ذلك. ثم ودعت حليلة آمنة و ركبت اتانها (الحمار الانثى) و اخذته صلى الله عليه و سلم بين يديها فسبقت دواب الناس و الذين كانوا معها و هم يتعجبون منها ثم قدمت منازل بنى سعد قالت حليلة و لا اعلم ارضا من اراضى الله اجذب (اليابس لاحتباس الماء) منها و كانت غنمى تروح (تأوى بعد الغروب) علىّ حين قدمنا به شباعا لبنا (جمع اللبون التى نزل اللبن فى ضرعها) فتحلب و نشرب و ما يحلب انسان قطرة لبن و لايجدها

فى ضرع حتى كان الحاضر من قومنا (المقيم فى المنازل) يقول لرعاتهم اسرحوا (ارسلوا) حيث يسرح راعى غنم بنت ابى ذؤيب (كنية اب حليمة اسمه عبد الله) فتروح اغنامهم جياعا ما تبض (تسيل) بقطرة لبن و تروح اغنامى شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة و الخير. و لما دخلت به صلى الله عليه و سلم الى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك و القيت محبته صلى الله عليه و سلم.

رشده صلى الله عليه و سلم

كان صلى الله عليه و سلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان. يكبر فى اليوم كالشهر و فى الشهر كالسنة فلما بلغ عامين كان غلاما جفرا (غليظا شديدا) قالت حليمة متى بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح و مهما بلغ عشرة اشهر كان يرمى السهام مع الصبيان.

اول كلام تكلم به صلى الله عليه و سلم حين فطم الله اكبر كبيرا و الحمد لله كثيرا و سبحان الله بكرة و اصيلا و تكلم بهذا عند ولادته كما تقدم.

و كان صلى الله عليه و سلم لا يمس شيئا الا قال بسم الله. قالت حليمة فلما فصلته (فطمته) بعد عامين قدمنا به على امه و نحن احرص شئ على مكته بيننا لما نرى من بركته فكلمنا امه و رجوئا ان تتركه عندنا حتى يكبر لاننا نخشى عليه و بياء مكة و لم نزل بها حتى رده معنا فرجعنا به.

و فى السنة الثالثة ولد ابوبكر رضى الله عنه و فى الرابعة قال صلى الله عليه و سلم يا امّاه ما لى لا ارى اخوتى فى الحى نهارة قالت حليلة انهم يرعون الاغنام التى رزقنا الله اياه ببركتك فقال دعينى اخرج معهم الى المرعى و اخذ عصا و مزادة (وعاء الزاد) و ذهب باخوته الى المرعى فلما قرب المساء خرجت حليلة لملاقاته على طريق المرعى فاذا به قد اقبل و الانوار تسبقه و الاغنام تلوذ به و كان فى الغنم شاة رماها الراعى فكسر ساقها فجعلت تلوذ به كالشاكية اليه فقبض بيده الكريمة على ساقها فكأنّ الوجد لم يكن ثم قالت لولدها الراعى كيف وجدت اخاك القرشى؟ قال يا امّاه ما مرّ بحجر و لا مدر و لا سهل و لا جبل و لا شجر و لا وحش و لا طير الا و يقول السلام عليك يا رسول الله و لا يطاءً موضعاً الا و نبت و اذا استقينا من بئر فار الماء من اعلاه و لقد دخلنا واديا الوحش فيه كثير فاذا نحن بسبع عظيم قد جمع نفسه يثب علينا فلما نظر الى اخينا محمد تقدم و خضع له ورمى نفسه الى الارض و تكلم بكلام فصيح و قال السلام عليك يا محمد فتقدم اليه و كلمه فى اذنه فذهب الاسد يعدو، فقالت يا بنى اكنتم هذا من اهلك.

شق صدره صلى الله عليه و سلم

عن ابن عباس رضى الله عنهما ان حليلة (رض) كانت تحدث انه صلى الله عليه و سلم لما ترعرع (شب و استوت قامته) كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لى يا امّاه ما لى لا ارى اخوتى بالنهار (اخوته من الرضاع و هم اخوه عبد الله و اختاه انيسة و الشيماء اولاد الحارث) قالت فدتك نفسى انهم يرعون غنما

لنا فيروحون من ليل قال ابعتينى معهم فكان يخرج مسرورا و يعود مسرورا قالت فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار اتانى اخوه يعدو فزعا و جبينه يرشح عرقا باكيا ينادى يا امى و يا ابت الحقا اخى محمدا فما تلحقانه الا ميتا، قلت و ما قضيته؟ قال بينا نحن قيام اذا اتاه رجل اختطفه من وسطنا و علا دروة الجبل و نحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عاتته و لا ادرى ما فعل به قالت حليلة فخرجت انا و ابوه نسعى سعيا شديدا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم و يضحك فاكببت عليه و قبلته بين عينيه فقت فدتك نفسى ما الذى دهاك (ما اصابك)؟ قال جائئى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى فشقاً بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان، قالت حليلة فرجعنا به الى منزلنا فقال ابوه يا حليلة قد خشيت ان يكون ابنى قد اصيب فانطلقى بنا كي نرده اله اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف منه قالت حليلة فحملناه حتى اتينا به الى مكة و ذهبنا به الى امه فقالت امه ما الذى ردّ كما به؟ و قد كنتما حريصين على بقاءه معكما، قلنا اتنا نخشى عليه الاتلاف و الحوادث، فقالت ما ذا حدث؟ اصدقانى، فلم تدعنا حتى اخبرناها بما حدث له قالت اخشيتما عليه الشيطان كلاً و الله ما للشيطان عليه سبيل و انه لكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما. و الاصح انه رجع الى امه و سنه خمس سنوات، و لم تره حليلة السعدية بعد ان ردتها الى مكة الا مرتين الاولى بعد ان تزوج السيدة خديجة و الثانية يوم حنين.

ارهاصاته صلى الله عليه و سلم

هى الامور الخارقة للعادة على يد نبى قبل بعثته. منها قصة ابرهة بن الصباح الاشرم هو ملك اليمن بنى بيعة بصنعاء (عاصمة اليمن) و اراد ان يصرف اليها الحجاج عن مكة، فاحدث رجل من كنانة و لطخ قبلتها بالعدرة فاغضبه ذلك فحلف ليهدم الكعبة فخرج بجيشه و معه فيل قوى اسمه محمود و فيلة اخرى فلما بلغ المغمس (موضع بقرب مكة) خرج اليه عبد المطلب و عرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى و هيباً جيشه و قدم الفيل فكانو كلما وجهوه الى الحرم برک و لم يبرح و اذا وجهوه الى اليمن و الى سائر الجهات هروا فى المشى ثم ان ابرهة كان قد اخذ لعبد المطلب مأتى بغير فخرج اليه فى حق تلك المأتين من البعير و كان عبد المطلب اجمل الناس و اعظمهم فلما رآه ابرهة اجله و اكرمه و اجلسه الى جنبه فقال ما حاجتك؟ قال عبد المطلب حاجتى ان ترد على مأتى بعيرى، قال له ابرهة سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك و دين آبائك فالهاك عنه ذو اخذ منك، فقال انا رب الابل و للبيت رب يمنعہ فرد عليه ابله، ثم اتى عبد المطلب بالكعبة و اخذ حلقة الباب و جعل يدعو فلما فرغ من دعائه امر قريشا ان يتفرقوا فى الجبال تخوفا عليهم من مضرة الجيش ثم اقبل الجيشة يريدون دخول الحرم فارسل الله عليهم طيرا ابايل كل طير فى منقاره حجر و فى رجليه حجران اكبر من العدسة و اصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا فكانت هذه ارهاصا له صلى الله عليه و سلم.

و منها ماروى عن عبد المطلب قال بينما انا نائم فى الحجر اذ رأيت رؤيا ففزعت
 منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فقلت لها انى رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من
 ظهري قد نال رأسها السماء و ضربت باغصانها المشرق و المغرب و ما رأيت نورا
 ازهر منها اعظم من نور الشمس سبعين ضعفا و رأيت العرب و العجم لها ساجدين و
 هى تزداد كل ساعة عظما و نورا و ارتفاعا ساعة تخفى و ساعة تظهر و رأيت رهطا
 من قريش قد تعلقوا باغصانها و قومنا من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم
 شاب لم ار قط احسن منه وجهها و لا اطيب ريحا فيكسر اظهرهم و يقلع اعينهم
 فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم ائل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء
 الذين تعلقوا بها و سبقوك فانبهت مذعورا (مخوفا و مدهوشا) فرأيت وجه الكاهنة
 قد تغير ثم قالت لان صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق و
 المغرب و تدين (تخضع و تذلل) له الناس فقال عبد المطلب لابي طالب لعلك ان
 تكون هو المولود فكان ابوطالب يحدث بهذا الحديث و النبى صلى الله عليه و سلم
 قد خرج و يقول كانت الشجرة و الله ابا القاسم الامين فيقال له الا تؤمن به فيقول
 السبة و العار (اخشى او يمتنعى).

و منها الخوارق التى رأتها آمنة من البشارات و سماع النداء من الهاتف و عدم
 الالم و الثقل من الحمل و الوضع و غيرها.

و منها ما رأتها حليلة السعدية و منها تنكس الاصنام و انهدام ايوان كسرى و
 غييض بحيرة و اظلال الغمام و خمود النار و غيرها ما لا يعد و لا يحصى.

سفره صلى الله عليه و سلم مع عمّه الى الشام

لما تهيأ ابوطالب للسفر و الرحيل مسك صلى الله عليه و سلم بزمام ناقته و قال يا عمّ الى من تكلنى لا اب لى و لا ام و كان سنه صلى الله عليه و سلم تسع سنين فرق له ابوطالب و لم يتركه و قال و الله لاخرجن به معى و لايفارقنى و لا افارقه ابدا، فاردفه خلفه و سار به حتى بلغ بصرى (قرية فى جنوب الشام) و بها راهب يقال له بحيرا و اسمه جرجيس و كان انتهى اليه علم النصرانية، و كثيرا ما كان تجار مكة يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم و لا يتصل بهم حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا بالقرب من صومعته قد كان رأى و هو بصومعته رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الركب حين اقبلوا و غمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا فى ظل شجرة نظر الى الغمامة قد اظلت الشجرة و مالت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و كترت اغصانها عليه صلى الله عليه و سلم حين استظل تحتها و قد كان صلى الله عليه و سلم وجد هم سبقوه الى فئ الشجرة فلما جلس صلى الله عليه و سلم مال فئ الشجرة عليه ثم ارسل بحيرا اليهم انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش و احب ان تحضروا كلكم صغيركم و كبيركم و عبدكم و حركم، فقال له رجل منهم و الله يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا من قبل و قد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ و ما ذا حدث؟ فقال له بحيرا صدقت و لكنكم ضيوف و قد احببت ان اكرمكم و اصنع لكم طعاما فتأكلون منه جميعكم، فاجتمعوا اليه و تخلف رسول الله صلى الله عليه و سلم من بين القوم لحدائة سنه و صغره فى رجال القوم، فلما نظر

بحيرا فى القوم لم ير فى احد منهم ما رأى فقال يا معشر قريش لا يتخلف احد منكم عن طعامى فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد ينبغى له ان يأتيك الا غلام هو اصغر القوم منا قال لاتفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم فما اقيح ان تحضروا و يتخلف رجل واحد مع انى اراه من انفسكم فقال القوم هو والله اشرفنا نسبا و هو ابن اخى هذا الرجل يعنون ابا طالب، فقال رجل من قريش و اللات و العزى ان كان للؤما بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا فقام عمه الحارث و جاء به و اجلسه مع القوم، و لما سار به من جاء به لم تنزل الغمامة تسير على رأسه صلى الله عليه و سلم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه و سلم، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم و تفرقوا قام اليه صلى الله عليه و سلم بحيرا فقال اسألك بحق اللات و العزى الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه و انما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما او انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم لاتسألنى باللات و العزى شيئا فوالله ما ابغض شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما اسدلك عنه؟ فقال له سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن اشياء من حاله و نومه و هيئته و اموره و يخبره صلى الله عليه و سلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبى المبعوث آخر الزمان ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التى عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا، فلما فرغ اقبل على عمه ابى طالب فقال له ما هذا الغلام منك؟ قال ابنى، قال ما هو

ابنك و ما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا، فانه ابن اخى، قال فما فعل ابوه؟ قال مات و امه حبلى به قال صدقت، ثم قال ما فعلت امه؟ قال توفيت قريبا، قال صدقت، فارجع باين اخيك الى بلده و احذر عليه من اليهود، فوالله لان رأوه و عرفوه منه ما عرفت لتقتلنه اليهود فانه سيكون لابن اخيك هذا شأن عظيم و سيرسله الله رحمة للعالمين فاسرع به الى بلادك، فخرج به ابو طالب سريعا حتى عاد به الى مكة بعد ان فرغ من تجارته بالشام فما خرج به فى سفر بعد ذلك خوفا عليه.

رعيه صلى الله عليه و سلم للغنم و هو غلام

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له اصحابه و انت يا رسول الله؟ و انا رعيته لاهل مكة بالقراريط (اجزاء من الدراهم و الدنانير يشتري بهما الحوائج الحقيرة) و كان يقول بعث موسى و هو راعى غنم و بعث داود و هو راعى غنم و بعث و انا راعى غنم اهلى باجباد (ارض بمكة او جبل بها) و الغنم اضعف البهائم و الحكمة فى رعيها تعويد الراعى حسن المعاملة و اللطف و الشفقة و الرأفة بالرعية و تهذيبه و تربيته غرائزه حتى يكون عادلا فى رعاية غيره.

حضوره صلى الله عليه و سلم حرب الفجار

قد حضر النبي صلى الله عليه و سلم حرب الفجار و كان له من العمر اربع عشرة سنة و كان يقول حضرته مع عمومتى (جمع العمّ و هو اخو الاب) و رميت فيه باسهم و ما احب انى لم اكن فعلت.

كانت حروب الفجار اربعة: اما الفجار الاول فكان بين كنانة و هوازن و سببه ان بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ و يفتخر على الناس فيسط يومًا رحله و قال انا اعز العرب فمن زعم انه اعز منى فليضربها بالسيف و ثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فاسقطها فاقتتلوا فكان عمره صلى الله عليه و سلم حينئذ عشر سنين.

و الفجار الثانى كان بين قريش و هوازن و سببه ان امرأة من بنى عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة فسألها ان تكشف وجهها فابت فجلس خلفها و هى لاتشعر و عقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت المرأة يل آل عامر فثاروا بالسلاح و نادى الشاب يا بنى كنانة فاقتتلوا.

و الفجار الثالث كان بين كنانة و هوازن و سببه انه كان لرجل من بنى عامر دين على رجل من بنى كنانة فسوّقه به و اخره فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان، و قد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين فى ماله و كان ذلك سببا لاتقضاء الحرب.

و الفجار الرابع بين قريش و من معهم من كنانة و بين قيس عيلان و سببه ان عروة اجار لطيمة (الجمال التى تحمل التجارة) للنعمان بن المنذر (ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من اشراف العرب) فقال له البرأض بن قيس اتجيرها على كنانة؟ قال نعم فخرج فيها عروة و خرج

البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بتيمن (واد الى جانب فذك) غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام، فأتى آت قريشا فقال ان البراض قد قتل عروة و هم فى الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا و هوازن لاتشعر بهم ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل ان يدخلوا الحرام فاقتتلوا حتى جاء الليل و دخلوا الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم اياما و مكث القتال بينهم ستة ايام و القوم ليس لهم امير واحد يجمعهم، على كل قبيل من قريش و كنانة رئيس منهم، و على قبيل من قيس رئيس منهم هذا الحرب هو الذى حضره النبى صلى الله عليه و سلم مع اعمامه. و انما سمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة و قيس عيلان فيه من المحارم بينهم.

شهوده صلى الله عليه و سلم حلف الفضول

و هو اشرف حلف فى العرب تحالفوا على ان يردوا الفضول (ما يؤخذ ظلما) على اهلها و لا يقر ظالم على مظلوم. او الداعى اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل واحد منهم فضل و هم الفضل بن فضالة و الفضل بن وداعة و الفضل بن الحرث تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل او قيل هؤلاء الذين تحالفوا كانوا اخرجوا فضول اموالهم للاضياف.

كان حلف الفضول فى ذى القعدة فى دار عبد الله بن جدعان التيمى كان بنو تميم فى حياته كاهل بيت واحد يقوتهم و كان يذبح فى داره كل يوم جزورا و ينادى

مناديه من اراد الشحم و اللحم فعليه بدار ابن جدعان و كان يطبخ عنده الفالوذج
(حلوا تعمل من الدقيق و الماء و العسل) فيطعمه قريشا.

و سبب حلف الفضول الواقع فى دار عبد الله بن جدعان ان رجلا من زبيد قدم
مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمى و كان من اهل الشرف و التقدر
بمكة فحبس عنه حقه فاستدعى عليه الزبيدى الاحلاف بنى عبد الدار و فحزوم و
جمح و سهم و عدى بن كعب فابوا ان يعينوا على العاص و انتهبوه اى اظهروا له
الشرفى على ابن قبيس (جبل بقرب مكة) عند طلوع الشمس و قريش فى
انديتهم حول الكعبة فصاح باعلى صوته و استغاث منهم فقام فى ذلك الزبير بن عبد
المطلب عم رسول الله صلى الله عليه و سلم شقيق ابيه و عبد الله بن جدعان و
دعواهم للتحالف فاجابهما بنو هاشم و بنو المطلب و بنو اسد و بنو زهرة و بنو تميم
و اجتمعوا فى دار ابن جدعان و تعاقدوا و تعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم
على الظالم حتى يردوا اليه حقه شريفا او وضيعا ثم مشوا الى العاص فانتزعوا منه
سلعة الزبيدى.

و ذكر السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا و معه بنت له من
اضوم نساء العالمين فاغضبها منه نبيه بن الحجاج فقبل عليك بحلف الفضول فوقف
عند الكعبة و نادى بالحلف الفضول فاذا هم يعقون اليه من كل جانب و قد جردوا
اسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فنزعها منى
غصبا فساروا اليه فقالوا له اخرج الجارية فقد علمت من نحن و ما تعاهدنا عليه

فقال افعل و لكن متعونى بها الليلة فقالوا و الله و لا شخب لفقحة (حلب ناقة) فاخرجها اليهم.

و زاد بعضهم فى حلفهم ما بل بحر صوفة (قطعة من الصوف) و ما رساخر او ثبير (ما ثبت جبلان بمكة احدهما مسمى بحرا و الآخر مسمى بثبير) و المراد الابد.

و كان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يقول ما احب ان لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم و اتى اغدر به (لا احب نقضه و ان دفع لى حمر الابل فى مقابلة نقضه) و فى رواية و لو دعى به فى الاسلام لاجبت (لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق و نصرة المظلوم).

سفره صلى الله عليه و سلم الى الشام ثانيا

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم خمسا و عشرين سنة قال له عمّه ابوطالب يا ابن اخى انا رجل فقير لا مال عندى قد اشتد علينا الزمان و اقبلت سنون منكرة (شديدة الجذب) و ليس لنا مادة (ما يمدنا و ما يقومنا) و لا تجارة و هذه غير قومك قد حضر خروجها الى الشام و خديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها و يصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك و ان كنت اكره ان تأتى الشام و اخاف عليك من يهود و لكن لا انجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه و سلم لعلها ترسل الىّ فى ذلك فقال ابوطالب انى اخاف ان تولى غيرك فتطلب امرء بعد ضياع الفرصة فافترقا فبلغ خديجة رضى الله عنها ما

كان من محاوره عمّه ابى طالب فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم وقالت دعانى الى البعثة اليك ما بلغنى من صدق حديثك و عظم امانتك و كرم اخلاقك و ان اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمّه فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك فخرج و معه ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها فى تجارة لها و قالت لميسرة لاتعص له امرا و لاتخالف له رأيا و جعل عمومته يوصون به اهل العير و من حين سيره صلى الله عليه وسلم اظلته الغمامة و قبل ان يصلوا الى بصرى عيى يعيران لخديجة و تخلف معهما ميسرة و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اول الركب فخاف ميسرة على نفسه و على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على اخفافهما و عوذهما (رقى عليهما الرقية) فانطلقا فى اول الركب و لهما رغاء (صوت ذوات الخف) فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل فى سوق بصرى فى ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا فاطلع الراهب الى ميسرة و كان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى نزل تحت الشجرة فقال الميسرة رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى (صانها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبى) ثم قال له افى عينيه حمرة (الشكلة التى هى من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة و من ثم قيل فى وصفه صلى الله عليه وسلم اشكل العينين و الحمرة كانت فى بياض عينيه) قال ميسرة نعم لاتفارقه فقال الراهب هو هو

و هو آخر الانبياء و يا ليت انى ادركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه و سلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها و كان بينه و بين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف باللات و العزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة و قد خلا به يا ميسرة هذا نبى و الذى نفسى بيده انه لهو الذى تجده احبارنا موصوفا فى كتبهم. ثم انهم باعوا متاعهم و ربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط ثم انصرف اهل العير جميعا راجعين مكة و كان ميسرة يرى ملكين يظللانه صلى الله عليه و سلم من الشمس و هو على بعيرة اذا كانت الهاجرة و اشتد الحر و قدلقى الله محبة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قلب ميسرة فكان كأنه عبده فلما كانوا بمر الظهران (واد بين مكة و عسفان و هو المعروف بوادى فاطمة) قال ميسرة للنبي صلى الله عليه و سلم هل لك ان تسبقنى الى خديجة فتخبر بالذى جرى لعلها تزيدك بكرة (الغناة من الابل) الى بكرتيك؟ فركب النبي صلى الله عليه و سلم و تقدم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة و خديجة فى غرفة مع نساء فرأت رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو راكب على بعيرة و ملكان يظللان عليه فأرته نساءها فعجبين لذلك، و دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم فاخبرها بما ربحت تجارتها و هو ضعف ما كانت تريح فسرت بذلك و قالت اين ميسرة؟ خلفته فى البادية قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال و انما ارادت ان تعلم اهو الذى رأت ام غيره فركب رسول الله صلى الله عليه و سلم و سعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو. فلما دخل عليها

ميسرة اخبرته بما رأته فقال لها ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام و اخبرها بقصة البعيرين و قول الراهب نسطورا و قول الرجل الذى استحلفه و حينئذ اعطت خديجة له صلى الله عليه و سلم ضعف ما سمّته له صلى الله عليه و سلم.

تزوجه صلى الله عليه و سلم خديجة رضى الله عنها

خديجة بنت خويلد ابن اسد بن عبد العزى بن قصى فهى ولدت فى سنة اربع و خمسين و خمسائة من الميلادية يجتمع معه صلى الله عليه و سلم فى قصى و كانت تدعى فى الجاهلية و الاسلام بالطاهرة لشدة عففتها و صيانتها و تسمى ايضا سيدة نساء قريش و كانت تحت النبش و يكنى بابى هالة بن زرارة التميمى و مات فى الجاهلية و كانت ولدت له هند بن ابى هالة و هو من الصحابة كان يروى عنه الحسن بن على و يقول حدثنى خالى لانه اخو فاطمة رضى الله عنها لامها و قتل رضى الله عنه مع على يوم الجمل و ولدت له ايضا ذكرا آخر يسمّى هالة فهند و هالة ذكران ثم بعد موت ابى هالة تزوجها عتيق بن عائد المخزومي فولدت له بنتا اسمها هند اسلمت و صحبت النبى صلى الله عليه و سلم و لم ترو شيئا و كانت خديجة ارملة فى الاربعين و هى يومئذ اوسط نساء قريش نسبا و اعظمهم شرفا و اكثرهم مالا و احسنهم جمالا و كل قومها كان حربصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها و ذكروا لها الاموال فلم تقبل، و بعد ان رجع محمد صلى الله عليه و سلم من الشام ارسلت نفيسة بنت منية خفية فأتت اليه صلى الله عليه و سلم و قالت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج؟ فقال ما بيدي ما اتزوج به، قالت فان كفيت ذلك و دعيت الى

المال و الجمال و الشرف و الكفائة الا تجيب؟ قال فمن هي؟ قالت خديجة، قال و كيف لى بذلك؟ قالت علىّ فقال افعلى فذهبت نفيسة الى خديجة و اخبرتها فارسلت خديجة اليه صلى الله عليه و سلم ان اتت الساعة فلما جاء قالت لرسول الله صلى الله عليه و سلم يا ابن عمى انى قد رغبت فيك لقرابتك و امانتك و حسن خلقك و صدق حديثك. فذكر ذلك صلى الله عليه و سلم لاعمامه فوافقوا على ان يتزوجها و ارسلت الى عمها عمرو ابن اسدو اخبرته الخبر لانها اباها خويلد مات قبل حرب الفجار فقال عمرو بن اسد هذا الفحل لا يقدع انفه (لا يضرب انفه لكونه كريما لان غير الكريم اذا اراد ركوب الناقة الكريمة يضرب انفه ليرتدع) و جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فى نفر من اعمامه تقدمهم ابوطالب فخطب يومئذ فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم و زرع اسماعيل و ضئضى معد (معدنه) و عنصر مضر (اصله) و جعلنا حضنة بيته (المتكفلين بشأنه) و سواس حرمه (القائمين بخدمته) و جعل لنا بيتا محجوجا و حرما آمنا و جعلنا الحكام على الناس. ثم ان ابن اخى محمد بن عبد الله من لا يوزن برجل الا رجع به شرفا و نبلا (ذو النجابة) و فضلا و عقلا، فان كان فى المال قل (قليل) فان المال ظل زائل و امر حائل و عارية مسترجعة و محمد ممن عرفتم قرابته و قد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة بنت خويلد و بذل لها ما آجله و عاجله اثنتى عشر اوقية و نشأ (النصف من كل شئ) من الذهب، و لها فيه مثل ذلك، و هو والله بعد هذا له نبأ عظيم و خطر جليل جسيم، فلما اتم ابوطالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل بن اسد فقال الحمد لله الذى

جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عدت فنحن سادت العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تتكر العشيرة فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم و شرفكم و قد رغبتنا في الاتصال بجلكم و شرفكم فاشهدوا على معاشر قريش اني زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله و ذكر المهر، فقال ابو طالب قد احببت ان يشترك عمها معك، فقال عمها عمرو بن اسد اشهدوا على يا معاشر قريش اني قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، و شهد على ذلك صناديد قريش، و اولم عليها صلى الله عليه و سلم و نحر جزورا و اطعم الناس و امرت خديجة جواريتها ان يرقصن و يضربن الدفوف، و فرح ابوطالب فرحا شديدا و قال الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب و دفع عنا الغموم و في اول وليمة اولمها رسول الله صلى الله عليه و سلم. و كان هذا الزواج بعد شهرين و عشرين يوما من قدومه صلى الله عليه و سلم من سفر الشام و السيدة خديجة اول زوجة تزوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتزوج قبلها و لا عليها حتى ماتت و كان زواجهما سعيدا موقفا كله و فاء و تقدير و اخلاص، و قد اقامت معه اربعا و عشرين سنة و ولدت له اولاده جميعا، و هم القاسم و عبد الله و زينب و رقية و ام كلثوم و فاطمة، الا ابراهيم فقد كان من مارية القبطية. و السبب في عرض خديجة رضى الله عنها نفسها عليه صلى الله عليه و سلم مع ما اراد الله تعالى بها الخير ما حدثها به غلامها ميسرة و ما رآته من الآيات و قد ذكرت ما رآته لابن عمها ورقة بن نوفل و كان قد تدين بشريعة عيسى عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا خديجة فان محمد نبي هذه الامة و قد عرفت انه

كائن لهذه الامة نبى منتظر و هذا زمانه و ذكر ابن اسحاق انه كان لئساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فجاء هنّ يهودى فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكنّ نبى قرب وجوده فيتمكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فحصبته النساء (اي رميته بالحصباء) و قبحنه و اغلظن له و اغضت خديجة (سكنت و صبرت) على قوله و لم تعرض فيما عرضت فيه النساء و وقع ذلك فى نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع ما رآته هى قالت ان كان ما قال اليهودى حقا ما ذاك الا هذا فلذلك حثت نفسها على الزواج به صلى الله عليه و سلم و فازت بنيل مرادها رضى الله عنها، و هى من اقرب نسائه صلى الله عليه و سلم اليه فى النسب و لم يتزوج من ذرية قصى غيرها الا ام حبيبة، و كان صلى الله عليه و سلم يذكر خديجة بكل خير طول حياته حتى كانت عايشة تغار منها.

حضوره صلى الله عليه و سلم بنيان قريش الكعبة

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم خمسا و ثلاثين سنة و ذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة جاء سيل حتى اتى من فوق الردم (السد) الذى صنعوه لمنع السيل، فدخل الكعبة و صدع جدرانها بعد توهينها من حريق اصابها بسبب ان امرأة بخرتها فطارة شرارة فى بابها فاحترقت جدرانها فخافوا ان تذهبها السيول فلهذا اجتمعت قريش و ارادوا هدمها و اعادة بنائها و ان يشيدوا بنيانها، فلما اجمعوا فلما اجمعوا امرهم قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لاتدخلوا

فى بنيانها من كسبكم الا طيبا و لاتدخلوا فيه مهر بغى (زانية) و لا بيع ربا و لا مظلمة احد. ابو هب هذا خال عبد الله ابى النبى صلى الله عليه و سلم و كان شريفا فى قومه ثم ان الناس هابوا هدمها و فرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة انا ابدؤكم فى هدمها فاخذ المعول (اداة لحفر الارض) ثم قام عليها و هو يقول اللهم لم نزع (لم نمل عن دينك و لاخرجنا عنه) اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة و قالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيئا و رددناها كما كانت و ان لم يصيبه شىء و قد رضى الله صنعنا. فاصبح الوليد من ليلته غاضبا (ذاهبا غدوة) الى عمله فهدم و هدم الناس معه حتى انتهى الحدم الى الاساس ابراهيم صلى الله عليه و سلم افضوا (اوصلوا) الى حجارة خضر كالاسمة (جمع سنام و هو اعلى ظهر البعير) آخذ بعضها بعضا فادخل رجل ممن كا يهدمها عتلته (آلة يهدم بها الحائط) بين حجرين منهما ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تحركت مكه باسرها و ابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس، ثم القبائل جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ينقل معهم الحجارة من اجياد و كان يضعون ازهرهم على عواتقهم و يحملون الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه و سلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض فارتفعت عيناه الى السماء و نودى عورتك فقال ازارى ازارى (شدوا على ازارى) فشد عليه فلم ير عريانا بعد ذلك. ثم ان قريشا جزأت الكعبة فكان شق الباب لبنى عبد مناف و

زهرة، و ما بين الركن الاسود و الركن اليمانى لبنى مخزوم و قبائل من قريش انضموا اليهم و كان ظهر الكعبة لبنى جمح و سهم و شق الحجر لبنى عبد الدار ابن قصى و لبنى اسد بن عبد العزى و لبنى عدى بن كعب، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الاسود فاختموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى استمر النزاع خمس ليال حتى تحاوزوا (انحاز كل قبيل منهم الى جانب) و تحالفوا و استعدوا للقتال ثم اجتمعوا فى المسجد الحرام و تشاوروا فيما بينهم. و قال ابو امية بن مغيرة المخزومى عمّ خالد بن وليد و كان اكبرهم سنا. يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه. ففعلوا فكان اول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا. و كانت قريش تسميه الامين قبل ان ينزل عليه الوحي و كانوا يتحاكمون اليه فى الجاهلية لانه عرف بالدفاع عن الحق و التمسك بالحق فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم هلمّ الىّ ثوبا فاتى به فبسطه ثم اخذ الحجر الاسود و وضعه فيه ثم امر ان يرفعه رجل من كل قبيلة فرفعوه جميعا و ساروا حتى بلغوا به موضعه فاخذه رسول الله و وضعه فى موضعه بيده الشريفة، ثم لنى عليه و انتهى النزاع بينهم بفضل محمد اليتيم الصادق الامين و كان اصغر الحاضرين سنا و لولاه لحدثت حرب مستمرة بين العرب.